الفصل الثاني

الدّعْوة العَامّة

- تعريفها وأهميتها
- الخطبة التعبدية
- الخطبة التأثيرية
- المحاضرة
- الندوة

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

الدعوة العامة

تعريفها وأهميتها

هي ما كان الخطاب فيها موجها إلى جماعة من الناس بقصد التأثير فيهم، والخطابة فن قديم نشأ منذ بدء الخليقة.. فالكلمة المسموعة أقوى أثرًا من الكلمة المقروءة لأن الأولى تنبض بالحياة والانفعال.

ويعتبر الأنبياء والمرسلون «دعاة عامين»... لأنهم واجهوا بدعواتهم الجماهير المتباينة المشارب والأهواء .. وتحملوا نتائج الدعوة، فمنهم من اضطهد، ومنهم من قتل، ولكنهم جميعًا قد أحرزوا نجاحًا.. بدليل تلك الآثار التي تركوها في الأمم والشعوب عبر القرون.

والحكماء والمجددون دعاة عامون أيضًا.. لأنهم قاموا بنقل أفكارهم بصورة جماعية إلى الجماهير.. فمنهم من اضطهد حتى الموت ومنهم من لقي احتراما في حياته.. ولكن أفكارهم جميعا عاشت بعدهم حتى وصلت إلينا.

أما العلم الذي اقتصر على إيداعه بطون الأوراق فقد فنى أكثره بفنائها، وبقى جانب منه لكنه من ناحية التأثير لا يبلغ مبلغ الكلمة المسموعة على كل حال.

وتنتقل الأفكار الجديدة بطريق التكاثر في متواليات عجيبة..

فلو أن مائة إنسان سمعوا رأيًا فنقله كل منهم إلى خمسة آخرين – لوصل الخبر إلى خمسمائة في المرحلة الأولى، ولو نقله كل واحد من هؤلاء إلى خمسة آخرين لصاروا ألفين وخمسمائة في المرحلة الثانية.. فما ظنك بمقدار انتشاره بعد مائة عام مثلا؟ إن معظم سكان الأرض اليوم تتقاسمهم ديانات ومبادئ لا تزيد على عشرة.

هذا – ولابد أن يكون الداعية موقنا بفكرته التي يدعو إليها، ممتلئ النفس والعقل بها، عارفا بحدودها وصحتها وصلاحيتها، حريصًا على أن يشغل الآخرين بها، وهنا يكمن السر في أنك تسمع خطباء فتتأثر بهم، وتسمع آخرين فتنساهم فورا فلا تقيم لكلامهم في نفسك وزنًا..

روى أن الحسن بن علي رضي الله عنه سمع خطيبًا فلم يعجبه ولم يتأثر به فقال له: «يا هذا.. إن بقلبك سوءًا أو بقلبي».

فلابد إذن من الاقتناع قبل الإقناع.. ولابد من الإخلاص قبل العمل.

وعندما كلف الله موسى عليه السلام بدعوة فرعون وقومه سأل الله تعالى أشياء تعينه على تلك المهمة الشاقة.

١ـ سأل الله أن يشرح صدره لأداء الرسالة.. حتى تصبح عنده هواية أو متعة تهون معها الشدائد: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ [طه: ٢٥].

٢ـ وسأله تيسير الأمر وتذليل العقبات – ومن ذلك تليين القلوب.. وتحويلها بالعطف عليه.. ودفع الشدائد التي تعرقل السبل ووقايته من كيد الكائدين: ﴿ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾ [طه: ٢٦].

٣ـ وطلب منه أن يحل عقدة لسانه ويرزقه الفصاحة والكلمة المؤثرة ليكون ذلك أعون له على التأثير: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ [طه: ٢٧، ٢٨].

٤ـ وطلب رفيقا ومساعدا من أهله تتوفر فيه الثقة والأمانة: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ [طه: ٢٩-٣٢]. ولا شك أن الدعوات – تنتفع بالعصبيات.. على أن تكون الدعوة هي المستفيدة وليست هي محل الاستغلال.

٥ـ وأوضح أنه مؤمن بربه راغب في رضاه: ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه: ٣٣، ٣٤]

٦ـ وأوضح كذلك أنه عارف باطلاع الله على خفايا النفوس إذا أرادت استغلال الدين، وأنه لا يصلح معه إلا الإخلاص وحسن الانقياد: ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه: ٣٥]

OBEIKAN.COM

والقائمون بالدعوة العامة، يجب أن تتوفر لديهم شروط وصفات شخصية تؤهلهم لأن يتصدروا المحافل ويستحوذوا على انتباه الجماهير – بعض هذه الصفات خلقية تكوينية مثل سلامة الجسم من المنفرات وقوة الصوت والقدرة على الحركة، لكن البعض الآخر خلقي يمكن تنميته بالعلم والتمرين، كحسن الخلق ولين الجانب وحسن الفراسة والاستنباط.

الخطبة التعبدية

يلزم للداعية المسلم – أن يحيط علما بأصول الدين والعبادات والمعاملات حتى يكون صالحا لتغطية المواقف التي تتصل بهذه المكانة.. فلا يليق به مثلا أن يدعي لخطبة العيد أو صلاة الجنازة ثم لا يتمها على الوجه الأكمل.

وهناك أنواع من الخطب ترتبط بصلوات وعبادات ما بين فريضة ونافلة – نوضحها وما يلزم فيها بإيجاز:

- **صلاة الجمعة**[1]:

وتجب على كل مسلم مكلف ذكر مستوطن ببناء – ووقتها من الضحى إلى آخر وقت الظهر، وحضور أربعين (وورد أنها تجوز بأقل من ذلك) – ومن أدرك مع الإمام ركعة أتمها جمعة وإلا صلاها ظهرًا، ويخطب الإمام قبلها خطبتين قصيرتين.. يقرأ فيهما آية من كتاب الله مع حمد الله والصلاة على رسوله ﷺ – ويوصى بتقوى الله – ويسن أن يخطب قائمًا معتمدًا على عصا أو سيف مواجها للناس، وأن يدعو للمسلمين وسلطانهم بصلاح الحال وغيره، دون التورط فيما يشبه الملق أو تحبيذ الفساد والظلم، وأن يجلس برهة بين الخطبتين، وأن يخطب على منبر أو موضع عال، وأن يسلم على الناس إذا أقبل عليهم.

أما الصلاة فركعتان يقرأ فيهما جهرًا – ويسن أن يصلي قبلها ركعتين أو أربعًا وبعدها مثل ذلك، ويتأكد الغسل والتطيب ولبس الثياب الحسنة لصلاة الجمعة، ويكره تخطي الرقاب والكلام حال الخطبة – ومن جاء والإمام يخطب فليصل ركعتين خفيفتين ثم يجلس.

---

(١) لقد اخترنا العمل بالمشهور عند الحنابلة –وهناك اختلاف يسير عنه المذاهب لا يضر تركه ولا داعي للخوض فيه.

- **صلاة العيدين:**

هي فرض كفاية في عيد الفطر وعيد الأضحى – ووقتها – كصلاة الضحى – من بعد ارتفاع الشمس قدر الرمح إلى قبيل الظهر، ويجوز قضاؤها في اليوم التالي لمن لم يعلموا بها، وشروطها كشروط صلاة الجمعة ويسن أن تقام في ظاهر المدينة إلا لأهل الأعذار.

وتصلَّى ركعتان قبل الخطبة جهرًا – يكبر في الأولى قبل قراءة الفاتحة سبعا وفي الثانية خمسا، وترفع اليدان مع كل تكبيرة ويقول الخطيب: «الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا – وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا» أو نحو ذلك، ثم يقرأ الفاتحة وسورة مثل سور «سبح» أو «الغاشية»، ثم يخطب كخطبتي الجمعة لكن يفتتح الأولى بتسع تكبيرات والثانية بسبع، وفي عيد الفطر يحثهم على إخراج الزكاة ويوضح لهم أحكامها، وفي عيد الأضحى يحثهم على ذبح الضحية ويبين لهم حكمها.

ويكره أن تصلَّى النوافل في مصلى العيد.. ويسن التكبير ليلتي العيد، ويستمر التكبير في الفطر إلى آخر اليوم بعد الصلوات المفروضة، وفي الأضحى إلى عصر ثالث أيام التشريق للمحرم، وصفة التكبير: «الله أكبر الله أكبر.. لا إله إلا الله.. الله أكبر الله أكبر.. ولله الحمد».

- **صلاة الكسوف والخسوف:**

هي ركعتان – سنة – كل ركعة بقيامين وركوعين والجماعة فيها أفضل – ويسن طول القراءة مع كثرة التسبيح في كل ركعة، والأولى أطول من الثانية، فإذا زال الكسوف عن الشمس أو الخسوف عن القمر أثناء الصلاة أتمها خفيفة – وليس فيها الخطبة.

- **صلاة الاستسقاء:**

إذا أجدبت الأرض واحتبس المطر يدعو الإمام أهل البلدة للخروج إلى صلاة جامعة – حكمها وشروطها كصلاة العيد، يخرج الإمام معه أهل الدين والشيوخ والمميز من الصبيان إلى ظاهر المساكن – متضرعين متذللين – فيصلي بهم ركعتين ثم يخطب خطبة واحدة ويفتتحها

OBEIKAN.COM

كخطبة العيد- يكثر فيها من الاستغفار وتلاوة آيات من القرآن - ثم يرفع يديه وظهورهما نحو السماء فيدعو بأدعية النبي ﷺ[1].. فإن سقوا وإلا عادوا ثانيًا وثالثًا، وإن جاءهم المطر بعد تأهبهم للخروج خرجوا وصلوها شكرًا.

- **الجنازات:**

من السُّنة زيارة المريض والدعاء له بالعافية وتذكيره بالتوبة والوصية.. فإذا رئى أنه مشرف على الموت فمن السُّنة تعاهد حلقه بماء أو شراب وتندية شفتيه، وتلقينه «لا إله إلا الله» وقراءة الفاتحة عنده وسورة «يس» وتوجيهه إلى القبلة. فإذا مات يقوم الحاضر بتغميض عينيه وشد فكيه وتليين مفاصله وخلع ثيابه وستره بثوب.. ووضع ثقل متوسط على بطنه وجعله على سريره، وغسله متوجها بوجهه نحو القبلة منحدرًا نحو رجليه – والإسراع في تجهيزه ومن ذلك تفريق وصيته وقضاء دينه.

ويطلب للميت غسله وتكفينه والصلاة عليه ثم دفنه وكلها فروض كفاية[2]:

- الغسل:

لا يغسل الرجل امرأة يبلغ عمرها سبع سنين فصاعدا، وليس لامرأة أن تغسل رجلًا بلغ سبع سنين فصاعدًا.

لكن لكل من الزوجين أن يغسل الآخر.. ويغسل الرجال الرجال ويغسل النساء النساء، وإن مات رجل بين نسوة ييمم[3]... وكذلك امرأة بين رجال – ولا يغسل مسلم كافرا ولا يلقنه ولا يصلي عليه ولا يتبع جنازته – بل يقوم بدفنه إن لم يوجد من يقوم بذلك من جماعته.

---

(١) توجد هذه الأدعية ونحوها في دواوين خطب الجمعة وهي كثيرة متوفرة.

(٢) إن قام بها البعض سقطت عن الآخرين.

(٣) أي يعمل للميت التيمم بالغبار الطاهر فتمسك يديه ويضرب بهما على شيء فيه غبار – واحدة لوجهه وأخرى لذراعيه حتى المرفقين وهذا يغني عن الغسل.

OBEIKAN.COM

وإذا شرع في الغسل يستر عورته ثم ينوي الغسل ويسمى الله ويغسله كما يغسل الحي، إلا أنه يرفع رأسه إلى قدر جلوسه ويعصر بطنه برفق.. ثم يلف على يديه خرقة فينظفه بها – ولا يمس عورته إلا بحائل.. ويمسح أسنانه وأذنيه ومنخريه بخرقة ويوضئه ويفيض الماء عليه.. ويحسن وضع طيب في ماء الغسل.. وحشو فمه ومخارجه بقطن – ولا يغطي الرأس ولا وجه الأنثى، ويدفن الشهداء[1] بدمائهم وفي ثيابهم دون غسل ولا صلاة، لكن ينزع عنهم سلاحهم.. والسقط الذي بلغ أربعة أشهر كالمولود حيًّا، ولا يجوز سوء الظن بمسلم ظاهر العدالة.. وعلى الغاسل – والطبيب – ستر ما يجد من عورة في الميت.

التكفين:

الكفن واجب وهو مقدم على سداد الدَّين – فإن لم يوجد فيؤخذ من بيت المال العام... ويكفن الميت في ثلاث لفائف بيض، ويوضع قطن بين إليتيه ويشد عليها بخرقة مشقوقة. ويجعل الفائض عند الرأس ثم يعقد أثوابه عليه – وتحل ثانيًا في القبر- ويجوز ثوب واحد يستر جميع البدن، وتحرم المبالغة في نوعية الكفن.

صلاة الجنازة:

ويسن أن تكون جماعة ويقوم الإمام عند صدر الرجل وعند وسط المرأة، ويقدم للإمامة الأفضل فالأقرب للميت. ثم يكبر تكبيرة قائمًا – رافعًا يديه مع كل تكبيرة - يقرأ بعدها الفاتحة فقط، ثم يكبر الثانية ويصلي بعدها على النبي ﷺ كما في آخر التحيات. ثم يكبر الثالثة ويدعو بما ورد[2]... ثم يكبر الرابعة ويقف بعدها قليلا أو يقول: «**اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله**» ثم يسلم تسليمة واحدة، وبذلك تنتهي صلاة الجنازة.

---

(١) الشهيد هو الذي قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. ومات على ذلك.

(٢) ومثل ذلك قوله: «اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وأنت على كل شيء قدير.. اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام – ومن توفيته منا فتوفه عليه... اللهم اغفر له – أولها – وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله، ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس.. وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر والنار.. وافسح له في قبره ونور له فيه» وإن كان صغيرا أو مجنونا قال المصلي: «اللهم اجعله ذخرا لوالديه وأجرا وشفيعا لهما.. اللهم ثقل به موازينهما وأعظم به أجورهما وألحقه بصالح سلف المؤمنين.. وقه برحمتك عذاب الجحيم».

ومن السُّنة أن تؤدى على القبر ويكره أداؤها في المسجد حتى لا تسيل منها نجاسة. ويجوز أداؤها بعد موته إلى شهر.

وتصلى صلاة الغائب عن الشهيد – وكذا من مات غريقًا أو محروقًا أو مفقودًا ولم يصل عليه – إلى مدة شهر.

حمل الميت ودفنه:

يسن أن يحمل الميت على أعناق رجال أربعة ويسرع في السير بها ويمشي الماشون أمامها والراكبون خلفها.. أو قريبا منها –ويكون القبر لحدًا[1].. ثم يهال التراب عليه، ويسن للحاضر أن يحثو عليه ثلاث حثيات من تراب وأن يدعو له بعد الدفن قائمًا.

ويكره أن تتبع الجنازة بنساء أو أصوات أو ذبائح أو نيران أو موسيقى وطبول.. كما يكره بناء القبر بالأسمنت ونحوه والجلوس والاتكاء والكتابة عليه – ويحرم دفن اثنين فأكثر في قبر إلا لضرورة، وفي هذه الحالة يحجز بينهما بتراب.. ولا يرفع القبر عن الأرض أكثر من شبر، ولا بأس بوضع جريدة أو علامة عليه.. دون الكتابة على القبور، وألا يلحق القبر بمسجد ولا يبني المسجد على قبر، بسبب ما جاء عن رسول الله ﷺ من النهي الصريح عن ذلك.

ويسن إصلاح طعام لأهل الميت لا لمن يجتمعون عندهم.. وإذا مر الإنسان بالمقبرة يقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين.. وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.. يرحم الله المتقدمين منكم والمتأخرين.. نسأل الله لنا ولكم العافية.. اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم.. واغفر لنا ولهم» – ولا يطلب شيئًا من المقبورين ولو كانوا من الأنبياء أو أكابر الصالحين – ولا يطاف بالقبور مهما كانت بل تطلب الرحمة لهم.. وكلهم محتاج إليها..

---

(١) وهو أن يحفر في أسفل حائط القبر، وأن يكون مما يلي القبلة، ويودع الميت في هذا اللحد على شقه الأيمن – وتكره المخدة والقطيفة – وتوضع رأسه على لبنة.

OBEIKAN.COM

ويحرم إتيان البدع المشهورة في الجنائز ومثلها إقامة الأحفال واستئجار قراء للقرآن وإظهار الإسراف ونحو ذلك.

هذا وينبغي أن يدرب الدعاة على القيام بمثل هذه الأعمال والعبادات.. احتسابا لله دون أجر.. فإنها كبيرة الفائدة في إثبات السنة وقمع البدعة.. وتبدو أهميتها في مثل البلاد الأجنبية، حيث يكون موت المسلم هناك مشكلة لقلة من يحسن القيام بهذه الأعمال.. كما يحسن إتقانها على الوجه الأكمل تفاديا للنقد والجدل.

ما يراعى في الخطب الشرعية:

أولا: ألا تكون طويلة مملة ؛ لارتباط السامعين فيها بحالة الطهارة، مع التزام الصمت والجلوس أو القيام في مكان محدود مزدحم.. وقد يكون معهم النساء والأطفال والضعفاء، وقد يكون الوقت شديد الحرارة أو شديد البرودة.. فيتأذى المصلون[1]... ولا بأس بأن يكتب الخطيب خطبته ثم يلقيها بأداء جيد.

ثانيا: ألا يميل الخطيب في هذه المناسبات إلى تجريح الأشخاص أو الجماعات أو المبالغة في الثناء عليهم.. فإنما شرعت هذه الجماعات لتذكير الناس بشئون الآخرة على سبيل الإجمال ولا بأس بطرق موضوع يهم المصلين في أمر دنياهم.. إذا وجد سبب ذلك.

ثالثا: ولا بأس من الارتجال للقادر عليه مع تحديد العناصر في الذهن أو في ورقة صغيرة. حتى لا يتعرض لنسيان الوقت والموضوع.

ويحرص الداعية على حسن المظهر والتزام الخشوع والوقار، فهذا مقام القدوة في الدين.

---

(١) قال ﷺ: **«من أم بالناس فليخفف فإن فيهم السقيم والضعيف وذا الحاجة»**.. ويرى الكثيرون أن المدة من عشر دقائق إلى خمس عشرة هي الوقت المناسب.

OBEIKAN.COM

الخطبة التأثيرية

هي أكثر الأنواع شيوعا في مخاطبة الجماهير ويصاحبها الانفعال والحماسة في العادة[1].

وموقف الخطابة ليس سهلًا ولا يحسنه من الدعاة إلا القليل.. وينبغي أن يعد له الرجال إعدادا في جماعات أو في معاهد خاصة[2].. فذلك من أشرف ما توقف عليه الجهود.

وقلب الخطيب متصل بعقله، فلا ينبغي له أن يتعرض للموقف إلا إذا كان ممتلئ القلب بالعاطفة وممتلئ العقل بالمعلومات.. لأن الضعف في أحدهما يبرز التهافت والفشل.

وسنحاول فيما يلي أن نشير إلى بعض المعاني التي تؤخذ في الاعتبار.. وما هذه التقسيمات إلا لتسهيل الدراسة.. وإلا فالموضوع كل لا يتجزأ..

من آداب الدعوة العامة

مما يساعد على نجاح الخطيب في أداء مهمته مراعاة المسائل الآتية:

حسن الاختيار – اليقظة.

حسن الأداء – المتابعة.

أولا: حسن الاختيار:

على الخطيب أن يراعي حسن الاختيار في مادته ومن ذلك:

١-اختيار الموضوعات:

فعليه أن ينتقي المواد التي تضيف جديدا إلى ثقافة المستمعين مثل:

«الكلام والصمت.. والمشورة.. كتمان السر... الصبر والجزع.. المزاح والضحك.. المروءة.. طلب العلم.. معاني البر.. حدود الطاعة.. أركان الإسلام... معاني التوحيد... الاجتماع الإسلامي... معنى الكفر... معنى النفاق... مظاهر الإحسان.

آداب المعاشرة.. المأكل والمشرب والتحية والخدم.. واللباس والعلاقات.. تأديب النفس وتهذيبها.. مكارم الأخلاق (كالصدق والكذب – الحياء – التواضع والكبر – حسن

---

(١) ورد أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب على المنبر «كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم».

(٢) انظر رسالتنا: «كيف تكون داعية».

OBEIKAN.COM

الخلق).. فهم أصول الدين.. حق الصديق على الصديق.. الصحة والفراغ.. نعمة العمل ومحنة المال.. التعاون والمواساة بين الناس.. العقل والهوى... فن نشر الدعوة.. قيمة العمل والعامل... حق المال على الأغنياء.. تصحيح العقيدة.. ما ليس من الدين.. السنة والبدعة.. أهمية الشريعة في حياة الناس».... إلخ.

وفي الأندية التي تنظم محاضرات دورية يحسن أن تختار قائمة لمحاضرات الموسم كل سنة أو كل عدة أشهر، بحيث تشمل سلسلة من البحوث النافعة في مختلف فروع المعرفة الإنسانية (كالخدمة الاجتماعية والإحصاء.. بسائط الطب والمشاكل الدولية أو قضايا الساعة والبحوث التاريخية والدينية والجغرافية وعجائب المخلوقات والمخترعات والعلوم) ويدعى لها محاضرون متخصصون أو تنشأ حلقات للبحث أو للمناظرة، ثم تحدد مواعيدها بالاتفاق مع المحاضرين وتوزع الدعوات بطريقة نظامية[1]..

٢- اختيار اللفظ والعبارة:

وهذا باب واسع نكتفي فيه بالإشارة...

فمن حيث الألفاظ يلجأ الداعية للسهل المألوف بدلا من الوحشي الغريب.

فبدلًا من قوله: «اشرأبت» يقول: «تطاولت».

وبدلًا من قوله: «يجشمها» يقول: «يكلفها»

وبدلًا من قوله: «تفاقمت» يقول: «اشتدت».

وبدلًا من قوله: «التبعة» يقول: «المسئولية».

وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾

[ص:٨٦].

---

(١) انظر موضوع تنظيم الحفلات في قسم الأمور العامة.

OBEIKAN.COM

ومن خطب العبادات:

يعتمد الخطيب على المقاطع الواضحة القصيرة وليس السجع المتكلف – وليكن في الحساب أن بعض السامعين سيحرف الكلام عن مواضعه بحسن نية أو بسوء نية.. فلا داعي لإيراد الكلام الذي يحتمل سوء التأويل – ومن الخطأ أن يصطدم الخطيب – بالأمور المسلم بصحتها لدى الجماهير- دون مقدمات مقنعة- كما أنه من الخطأ التورط- في المسائل الخلافية التي تحزب الناس وتشتت الانتباه.. وإذا أثير الخلاف من غيرك فعليك أن تعالجه بأيسر سبيل.. إن إزالة الفرقة ودواعيها تأليف بين الناس، إن تجميع الجهود هو في حد ذاته هدف من أهداف الدعوة..

ولا داعي لكثرة إيراد التعبيرات المألوفة المطروقة بل يحسن الابتكار والتجديد، وإنما العلم بالتعلم، ويجمل بالخطيب أن يتعلم ما يقال في المناسبات، فهناك الكثير الجيد من الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ في مناسبات شتى من أغراض الحياة: كالتعزية، والتهنئة، والزواج، ونزول المطر، وعيادة المريض.. وغير ذلك.

كما يجمل به أن يحفظ جملًا من القطع الأدبية ومختارات من أشعار العرب، بالإضافة إلى القرآن الكريم والحديث الشريف للاستشهاد بها والاقتباس منها عند الحاجة.

٣- تخير الوقت المناسب:

ويجمل بالخطيب أن يتحرى الوقت الملائم لموضوعه والزمن الذي لا يشق على السامعين الحضور فيه، فليس جميلا أن يشرع الخطيب في حديثه عقب خطبة طويلة من خطب الجمعة، حيث يتهيأ الجميع للانصراف، ولا في أوقات الحر الشديد والبرد الشديد، وكذلك عندما توجد مناسبة عاجلة كتجهيز ميت أو اللحاق بقطار ونحو ذلك.

٤- تخير المكان المناسب:

ومعلوم أن بعض الأماكن لا تصلح لإقامة حفل ما – كما هو الحال بجوار المصانع ذات الضجيج – وحيث يحصل الأذى للجيران.. وبجوار دور اللهو وفي دور أحد الزعماء المتنافسين دون الآخر، وفي الأماكن النائية عن العمران.

وفي فطنة الدعاة ما يغني عن الإطالة في الموضوع.

ثانيا: اليقظة:

ومنها حسن التخلص:

فكثيرًا ما تعرض للدعاة والخطباء مواقف محرجة، تستدعي سرعة البديهة وحسن التخلص، ومن هذا القبيل تلك الأسئلة الدقيقة، التي يكون بعض السامعين قد أعدها ليختبر بها اتجاه الخطيب أو ميوله الخاصة.. وبعض الاستفسارات عن أشياء ليست من اختصاص الخطيب.. أو هي خارجة عن نطاق البحث، فيحسن أن يتعلم المتكلم كيف يخرج منها بغير مأخذ عليه – فلا ينقطع ولا يخطئ الجواب.

أعرف زعيمًا اشتهر بالقدرة الخطابية – وذات مرة فاجأه أحد السامعين أثناء المحاضرة بقوله: «هذا غير صحيح» وفطن الخطيب إلى ما يريده المعترض فاكتفى بقوله: «هذا رأيك» واستمر دون أن ينقطع.

كان الطالب يؤدي اختبارًا في دروس التربية العملية تحت إشراف أحد الأساتذة، فوقف أحد التلاميذ ووجه إليه سؤالا كان لا يعرف الإجابة عليه، وكان الطالب سريع البديهة فقال للتلميذ: «ذكرني في آخر الدرس» وبمجرد أن دق الناقوس خرج التلاميذ يهرعون إلى فناء المدرسة، ونسى التلميذ سؤاله فكتب المشرف الملاحظة الآتية: «الطالب ذكي حسن التخلص»...

OBEIKAN.COM

١- المجاملة:

ويحسن أن يكون الخطيب مجاملًا وافر الآداب. فمن ذلك:

* أن يعود ذاكرته حفظ أسماء الناس، وخاصة ذوي المكانة منهم، لأنه بحكم أسفاره المتواصلة يلقى أشخاصًا كثيرين وهم يعرفونه ويخاطبونه باسمه، فلا يليق به أن يجهل أسماءهم وقد عرّفوه بها من قبل.. إن حفظ الاسم ينطوي على تقدير لصاحبه.

* أن يكون حسن الاستماع للمتكلمين – كما يحب من الناس أن يحسنوا الاستماع إليه- وأن ينصت لمن يخاطبه كأنه يرتاح للحديث.

* ومن ذلك أن يشير إلى فقرات من قول بعض من سبقه من الخطباء – على سبيل الاستشهاد بها، فذلك يدل على حضور الذهن والتواضع الجميل.

* وأن يثني على ما يستحق الثناء من جهود الناس وأعمالهم، ولن يعدم أن يجد أمثلة كثيرة فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

٢- تفادي الاصطدام:

لا ينبغي أن يبدأ الخطيب حديثه باصطدام مع الآراء والمعتقدات المستقرة عند الناس، ويمكن أن يُساق القول حكاية عن الآخرين، حتى يظل الناقل في المكان الأمين. ويلاحظ في بعض البلاد وجود طوائف متنافرة من الأسر والجماعات، وأن الانحياز إلى أحدها يكفي لاستثارة حفائظ الآخرين.

وملعوم أن الجدال والمراء لا يأتي بخير – فإذا استدرج المتحدث إلى شيء من ذلك فليتنبه لما يراد به (كالمفاضلة بني حزبين أو جماعتين) وعليه أن يختار الموضوعات التي تنأى به عن مثل هذه الأمور الجدلية.

OBEIKAN.COM

٣- تفادي الإحراج:

والمقصود بالإحراج هنا – هو أن تضع شخصًا أو جماعة أمام مشكلة صعبة الحل بالنسبة إليه أو إليهم، فيجدون أنفسهم في حرج من القيام بأي تصرف، فلا ينبغي للداعية أن يورط السامعين في شيء من ذلك.. ولا يكلف أحدا بعمل أو بتضحية دون اتفاق سابق معه. وحتى يكون مستعدا لما يراد منه أو مصدقًا لما قيل عنه.

وقد شهدت الغلطة الآتية:

أقيم حفل في إحدى القرى لتأسيس عيادة طبية وتكلم الخطباء ما شاء الله لهم، ثم جاء أحدهم وقال (من عند نفسه): إن فلانًا سوف يتبرع بالأرض اللازمة للمشروع، وسمع الرجل هذا الكلام وبهت ولم يقل شيئا، وعند انتهاء الحفل ذهبت اللجنة لقبض التبرع، فغضب الرجل وقال لهم كلامًا قاسيًا وكان موقف الخطيب شائنا – مع افتراض حسن نيته- واضطر أن يعتذر لهؤلاء وهؤلاء.

٤- عدم الإطالة:

فالإطالة هي آفة الخطباء والمحدثين، وهي تضر الدعوة في العادة أكثر مما تنفعها، ولهذا يلزم التنبيه إليها والتحذير من آفاتها.

تنشأ الرغبة في الإطالة من إحدى العوامل الآتية:

* إعجاب المرء بنفسه وتصوره أن علمه جديد على الناس، خصوصا إذا لاحظ من بعضهم استحسانا وثناء (وهذا من الغرور).

* حب الشهرة والمحمدة والانشغال بالنفس وهو من الرياء، ويجدر بالداعين أن يخافوا على أنفسهم من هذا الشرك الخفي.

* الغفلة والنسيان وعدم تقدير مصلحة الآخرين، وقد يكون التطويل مقصودا من جانب المتكلم لما يظن من تحقيق المنفعة ، أو لأن الموضوع في ذاته طويل ومتشعب، وفي كل

OBEIKAN.COM

ما تقدم... على الداعية أن يعلم أن الشعوب العربية والإسلامية قد طالت محنتها، وكثر عليها الكلام الذي لم تجن منه إلا القليل وقد أصبحت تزهد في كثيره وقليله على السواء.

* ومن الخير للمرء أن يعرف أشياء قليلة معرفة تامة، عن أن يعرف أشياء كثيرة معرفة عامة.

* إن الطاقة الذهنية محدودة.. ولا يمكن السامع – في العادة- أن يتابع بانتباه لأكثر من ١٥ دقيقة وبعدها يصيبه الإعياء أو الشرود، ويتمنى أن يستريح حتى يجد مشوقا آخر، والكلام في المجال الديني معروف للمسلمين خاصة، ففي كل موضوع ديني، جاءت آيات وأحاديث معينة، فالمستمع الذي عاش ٣٠ عامًا لابد أنه سمع هذه النصوص عشر مرات على الأقل فانتبه يا أخي لهذا.. وحاول أن تجدد وتتجدد، فإن لم تستطع فعليك أن تجتهد وتختصر.

وبعضهم يخشى أن يتهم بالتطويل، فيترك الموقف مبتورا، لا يسده غيره وهذا غير حسن.

يحاول بعضهم أن يبرر حرصه على الإطالة بقوله: «أخشى أن أطيل عليكم» كأنما يطلب تجديد الثقة، وهذا غير حسن أيضًا.

والأولى أن يحدد الوقت والموضوع من قبل وأن يحترم ذلك بدقة.

٥- إدراك ما يجول بالخواطر:

لاشك أن ظروف الأحياء تفرض عليهم كل يوم أنواعا من القضايا التي تهمهم وتستولي على مشاعرهم.. ومطلوب من كل داعية أن يكون متجاوبا مع جمهوره تمامًا؛ لأنه واحد منهم، وإذا عرض لأمر جديد، فإن عليه أن يتصور ما سيتحرك في نفوس السامعين من الاعتراضات والتساؤلات فيه.. وأن يضمن حديثه جوابا عليها، كأن يقول مثلا: «وهنا يجوز لسائل أن يسأل عن كذا.. ونحن نجيب بكذا»، أو يقول: «ومع تسليمنا بوجاهة هذا الاعتراض نحب أن نوضح كذا».

هذا الأسلوب يشفي الصدور ويدل على ذكاء وفطنة، ويوفر وقتا كان يمكن أن يضيع في جدل كثير.

٦- إدراك المخططات:

ولابد للداعية من دراسة الحركات الكبرى التي مرت في التاريخ بصفة خاصة، وأن يجدد معرفته دائما ليقف على ما تتفاعل به الدنيا من خير وشر.

فيقرأ الصحف ويسمع الأخبار ويحللها بروح الفاهم، ولا يأخذ الأمور على علاتها.. حتى يدرك مخططات الأعداء والأصدقاء، وكم يكون جميلًا لو اختار الداعية موضوعه تعليقا على خبر منشور في إذاعة أو صحيفة صدرت حديثًا.

وإن الذين يعملون في حقل الدعوة الإسلامية مثلًا سيواجهون مشكلة الجهود المضادة، والتي تحارب هذا الدين منذ أنزله الله، بأساليب ماكرة وأموال هائلة وقوى متكتلة.

ولن يكفي مطلقًا أن تضع البذرة وتغفل عن الآفات التي تصيب النبات، والتي تهدده بالذبول... وهذا كلام له تفصيل.

٧- التدرج من المعلوم إلى المجهول:

ومن طرق الإقناع أن نتدرج بالسامع من الحقائق المقررة إلى ما يراد تثبيته في الأذهان، كأن يقول: «إن الله أعطانا العقل.. وميزنا به على سائر المخلوقات..

فنحن نتحمل من المسئولية بقدر هذه النعمة – وعلينا لأجل ذلك ضريبة لازمة - هي معرفة الحق والدعوة إليه»... إلخ.

٨- الالتفات للدقائق:

إن مثل الداعية كمثل من يدير جهازًا كبيرا معقدًا.. وإن الغفلة عن واحدة من أجزائه تؤدي إلى خلل فيه.. ومن أمثلة الأمور الدقيقة:

* أن تكون للداعية عادة – أو لازمة- من قول أو حركة غير طبيعية.

OBEIKAN.COM

* وأن يشير إلى جماعة من الحاضرين وهو يتحدث عن أهل الكفر والنفاق، أو يضرب المثل المنكر بواحد من الحاضرين.

* وأن يبالغ في نقد العادات الاجتماعية المستقرة عند القوم بما يسيئ إلى مشاعرهم[1].

* أو أن يكون في لباسه أو رائحته أو مظهره ما يخالف المألوف.

* أو أن يتجاهل زملاءه الخطباء، أو يسفه أحلامهم، بما يشعر بأنه يستعلي عليهم.

كل ذلك لا يجوز.

ثالثا: حسن الأداء:

تحت هذا العنوان يندرج أكثر عمل الخطيب والمحاضر، وهو باب واسع نجتزئ، منه هذه العناصر التي تعين على تحقيق الهدف:

البدء باسم الله تعالى:

فكل عملنا إنما هو لله.. وإلى الله مرجعنا.. فما لم نبدأ باسم الله ونركن إليه سبحانه ونختتم باسمه ونستمد منه العون، فقد أخطأنا أول الطريق.

استحضار المادة:

ومن أهم ما نوصى به أن يكون الموضوع واضحا تماما في ذهن صاحبه – ويمكن الاحتياط بتدوين رؤوس المسائل في وريقة صغيرة يرجع إليها المحاضر بلمحة سريعة – حتى لا يرتج عليه في وسط الخطابة، ثم يعود يبحث ويخلط أو يستطرد أو يتسول المعاني، على أنه إذا فرغت ذاكرة الخطيب من المعاني المرتبة فعليه أن ينهي الحديث دون إبطاء.

---

(١) خطبت في «أم درمان» وانتقدت توسيم وجوه الناس بخطوط طويلة أو عرضية لتمييز أفراد القبائل، فما خرجت من الحفل إلا تحت حراسة بعض الأصدقاء.. وخطبت في «بعلبك» منتقدا سجود بعضهم على قطعة من الطين يحملونها معهم، فسحبني بعض أهل الخير من الباب الخلفي للسرادق لنفس السبب.

OBEIKAN.COM

التشويق وبراعة الاستهلال:

ويتمتع بعض الخطباء بمقدرة نادرة على إثارة اهتمام السامعين، والتمهيد للموضوع بمقدمة مناسبة أو حكاية ظريفة أو نكتة بارعة، ولا بأس بقراءة بعض النصوص والمقطوعات، واستحضار اللوحات والخرائط عند الضرورة، وكلما أحس السامع بمجهود الخطيب وبإخلاصه في التحضير كلما كان أكثر احترامًا له.

وفرق بين داعية يقف ليشرح حديثًا عربيًّا باللغة العربية للعرب، وبين داعية يعرض بحثا مقارنا مشحونا بالوثائق ثم يخرج بنتيجة يؤيدها في النهاية بحديث شريف أو آية من كتاب الله.

الوقار وحسن السمت:

فمن حسن الأداء ألا تكثر من الحركات والتلفت على طريقة الممثلين – بل يجمل بك أن تكون إشارتك هادئة، وإن خطوت فإنما تكون خطوات متئدة، وأن توزع التفاتك على الموجودين باعتدال، فلا تتجه كل الوقت إلى جهة معينة، ثم تغفل النظر عن الجهات الأخرى.

ومن اتزان الحركات ألا تُرى منفعلًا غاضبًا أثناء الخطبة، ثم يراك القوم بعدها لاهيًا – ترسل الضحكات العالية – فإما أن يكون الداعية نموذجًا لما يدعو إليه من جد واستشعار للمسئوليات، وإما أن يكون صاحب دعابة ويعرف بذلك، فلا داعي إذن للثورة الكلامية.

وعلى الخطيب أو الداعية أن يعني عناية خاصة بسمته ومظهره العام، بحيث يكون مثل عامة الناس اعتدالًا في الملبس – نظيفًا – مرتبًا – وليس فيه ما يخالف مألوف الأمة[1] من ألوان فاقعة أو أثواب شهرة مستغربة.

---

(١) وعن عائشة قالت: «... وكان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم وفي الدار كوة ماء، فجعل ينظر في الماء ويسوي شعره ولحيته. فقلت: يا رسول الله: وأنت تفعل هذا..؟ قال: «إذا

OBEIKAN.COM

اتزان النبرات:

فلا تحملك الرغبة في الإسراع على أن تشحن الأفكار بالحقائق المهوشة المكدسة، ولا يحملك تكلف الأناة على تمطيط الكلام وتبليد الأذهان وإثارة الاستياء العام، فالإسراع يرهق الأذهان فتكل، والبطء الشديد يعزل الخطيب عن الجمهور، وبعض الخطباء يتبع نهجًا غريبًا، فيتكلم فترة بصوت معتدل ثم يخفض صوته تدريجيًّا، ثم يرتفع فجأة ثم يرجع فيكرر نفس الطريقة، وبعضهم تراه يبدأ هادئًا ثم تأخذه الحماسة، فلا يتوقف إلا وقد تهدج صوته وتعبت حنجرته، ونزل وهو يتصبب عرقًا، ولا يزال هذا دأبه أبدًا.

وإدراك الوسط في هذا يحتاج للمران مع تذكير إخوانه له بملاحظاتهم، حتى يصل الداعية إلى حد الاعتدال، وحتى يصبح ذلك عنده عادة لا تكلفًا.

التقسيم:

وهو أن يقسم الخطيب موضوعه إلى عناصره الأساسية ويوضحها للسامعين.. فيقول مثلا: «تقوم هذه القضية على ثلاثة أصول» أو يقول: «سنتحدث اليوم في أربع مسائل أولاها كذا وثانيها كذا...» ثم يلتزم بهذا التقسيم أثناء الإلقاء، فيعود لعناصر البحث بترتيب ويقظة كلما هم أن يستطرد، وميزة هذه الطريقة أن الناس إن عجزوا عن استيعاب التفصيلات فلن يعجزوا عن استيعاب العناصر الأساسية التي عرضها المتحدث واضحة مقسمة.. وبإمكان كل منهم أن يفسرها لنفسه، وبهذا يظل الموضوع حيًّا واضحًا للأذهان باقيًا ببقاء القرينة وهي التقسيم.

فتحديد الفكرة وحصر الأهداف ابتداء يساعد على الفهم، وعلى العكس من ذلك ترى الكلام الكثير المهوش ينسى بعضه بعضا ويضيِّع أوله في طوله آخره[1].

خرج أحدكم إلى إخوانه فليهيئ من نفسه فإن الله يحب الجمال» وعن ابن عمر: أن النبي ﷺ كان ينظر في المرآة وهو محرم..

(١) وقد ألقى أحدهم خطبة طويلة استغرقت ساعتين وفي النهاية توجه إليه أحد المستمعين وكان نائما وقال له: «سامحني يا سيدي، ماذا قلت الليلة»؟ وكان الخطيب مرهقا فأجابه قائلا: «سامحني يا سيدي.. لقد نسيت»!!

OBEIKAN.COM

الواقعية:

وهي أن تعيش واقع الناس ولا داعي لأن تجر السامعين إلى أعماق التاريخ، إذ لا فائدة من ذلك، إنما يُدرس التاريخ لنقتطف منه حكمة عابرة نقيس عليها أو نستفيد منها لواقعنا، لا لنجعله مادة الوعظ والتربية، إن التربية والتوجيه تستمد منهاجًا عادة من الواقع الحي لكل مجتمع بذاته، بمعنى أنها تختلف باختلاف الزمن، ثم تختلف باختلاف البيئة، وإذن فالانشغال دائما بقصص التاريخ يعتبر خروجًا على الموضوع.

انظر ما لديك من الأحداث البارزة في العصر الحديث واعرضها عرضًا تحليليًّا، واستخرج العبرة منها وارسم – إن استطعت - خطوط المستقبل- وحينئذ توصف بأنك مصلح أو مجدد.

الاستفادة من علم النفس والمنطق:

ومما يتصل بموضوع الاستناد إلى المعقول ضرورة الإلمام بالأساليب التي تنظم التفكير وتوصل له، فدراسة هذه العلوم الإنسانية مما يوسع آفاق المعرفة ويعين على حسن التفاهم مع الآخرين.

إتقان التلاوة – للقرآن الكريم:

وهذا يفرض على الداعية الإلمام بقواعد اللغة والتفسير والتجويد، وأن يعيش في معاني القرآن... فيميز بين الجمل الإنشائية والخبرية.. وبين ما هو تساؤل وما هو تقرير...

كثير من الناس يتلون كتاب الله لا يستفيدون بشيء منه، ولا تزيد قراءتهم المعنى إلا غموضا، سمعت قارئا يقرأ: «﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ... فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم ... مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ... ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ ... مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

[الروم: ١-٥].

لاحظ الفرق بين سرد هذه الآيات وبين الوقوف على فقراتها:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١-٥].

وقوله تعالى: ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ ...وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ...هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ ...أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣].

(لاحظ علامات الوقوف والرموز الخاصة بالتلاوة في المصحف الشريف) وأن حسن أداء القرآن الكريم يجعله عند المستمع كأنه مفسر.

وكذلك سوف ترى أن الأوقاف القصيرة في موضعها الصحيح تزيد المعنى جمالًا ووضوحًا.

ومنه حسن إيراد الحديث الشريف:

وهذا يقتضي الإلمام بمصطلح الحديث، وهو أمر غير عسير وتمييز الصحيح من غيره.. فإما أن يذكر «الحديث بسنده وتخريجه كما ورد في الكتب الصحاح، وإما أن يكتفي الداعية بذكر الصحابي وصاحب التخريج فيقول مثلا: «جاء في صحيح مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال.....».

بعض الدعاة يسمع الحديث فيعجبه معناه، فيطرحه ويستشهد به استنادًا لهذا الإعجاب – وقد لا يكون حديثًا أصلًا - وقد يكون موضوعًا أو مقلوبًا أو غير مسند- ويتداوله غيره من بعده فيكثر الخطأ ويتضاعف..

إن الحديث دين.. يحل حلالًا ويحرم حرامًا.. فتجب العناية به والحذر من الخلط فيه لقوله ﷺ: **«من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»**.

ولا مانع – عند الاضطرار- أن يحكي الإنسان الحديث بمعناه وينبه لذلك، بشرط أن يكون متأكدًا من صحته أساسًا.

OBEIKAN.COM

السيطرة على الحفل:

والمراد بذلك أن تكون طريقة المتكلم وحدها هي التي تقطع الهرج في الاحتفالات العامة، وتحمل جمهوره على الإصغاء والانتباه، وألا يحتاج في إسكات المستمعين إلى تلاوة آيات في الزجر أو إصدار أوامر من الخطيب[1]، أو من غيره، إنما يكون قادرا على أن يملك ناصية الموقف بقوة الشخصية، أو حسن التصرف، هذا أيضا مما يحتاج للتدريب.. واعتياد المواقف الخطابية.

هندسة الصوت:

وهو ملاحظة أن يكون صوت المتكلم مناسبا للمكان.. فإن لقوة الصوت وضعفه دخلًا في تجديد الانتباه، أو في كلال الذهن.

ولذلك يلزم أن يكون إرسال الصوت – سواء أكان بالحنجرة العادية أو مذاعًا من جهاز تكبير[2]– مناسبًا للسامعين من حيث المستوى العام.

ولا بأس من أن يقوى الخطيب في مواطن القوة وأن يترفق في مواطن الرفق بالدرجة التي توقظ المشاعر، والتي لا تسبب إرهاقًا للمستمعين.

البشر والتبشير:

ولابد للخطيب من وجه يغمره البشر والأمل، وألا ينسى وهو ينذر أن يبشر، ومع التخويف أن يطمئن، وأن الله تعالى جعل آيات القرآن الكريم متداخلة بين الرغبة والرهبة

---

(١) بعد خطبة جمعة طويلة في يوم شديد الحر نهض رجل من هؤلاء المرتزقة يتلو قوله تعالى: «ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى» (طه: ١٢٤)

فانصرف عنه الناس غاضبين.

(٢) إن سوء استعمال مكبرات الصوت في بعض البلاد في المآتم والأفراح والوعظ والأغاني التي يسمونها «تواشيح» أمر بالغ الضرر بالدعوة الإسلامية، أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفي المسلمين من هذا الداء العضال.

OBEIKAN.COM

وقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[الأحزاب: ٤٥،٤٦].

وهذا الوصف ليس خاصًّا به ﷺ وحده، وإنما ليتحلى به كل من سار على طريقته إلى يوم القيامة.

الدعاة عمال دين الله (وليسوا أصحاب دين الله)

الاستناد للمعقولات:

يوجد اضطراب عند كثير من المسلمين بين المنهاج العقلي والمنهاج النقلي، وديننا يتميز بأنه يصدق المنقول ويحترم المعقول دون تعارض بينهما. فالمسلم مطالب بأن يؤمن بالغيب[1]، وهو الذي لا يقع تحت طائلة المدركات.. كوجود الله واليوم الآخر والجنة والنار.. أما فيما لم يقرر الدين فيه حكمًا معينًا، أو الذي يقع تحت طاقة الحواس الخمس وخصائص العلاقات الإنسانية والسلوك البشري وإدراك أسرار الكون – فإن دور العقل فيه هو الدور الرئيسي، ولولا ذلك ما تقدمت البشرية خطوة واحدة، فليس المسلم كالملحد الذي يرفض ما لا يعلم، ولا كالحيوان الذي ينقاد دون فكر ولا عقل.. بل هو يرفع شأن العقل دون أن يؤلهه أو يحكمه فيما ليس من شأنه، إن مهمة العقل البحث في كنه الخلق لا في كنه الخالق.

وعلى ضوء ما تقدم يجب على الداعية أن يخاطب الناس بما يعقلون وبما يفهمون، فإن الحجة المقنعة كالطعام الجيد يهضمها العقل وينتفع بها.

والدعاة والخطباء مطالبون دائما بأن يسوقوا تفسيرًا مقبولًا لما يدعون إليه الناس، ولا يلام أحد إذا رفض بعض القول حين لا يستسيغه عقله (ما دام الأمر داخلًا في دائرة اختصاص العقل).

---

(١) الإيمان بالغيب الذي جاء من الله ورسوله شيء واجب – وتصديق المنجمين والسحرة بالإخبار عن الغيب شيء محرم.

OBEIKAN.COM

التركيز والتلخيص:

ونقصد به عرض المعلومات التي تناولها الموضوع ثم إعادتها بشكل موجز مختصر.

وهذه الطريقة نافعة جدًّا لأنها تمثل الانطباع الأخير الذي يحمله الزائر معه، والتلخيص الأخير يزيده علمًا بما فات ويذكره بما نسى، ويجمل له ما كان مفصلًا فيقول المحاضر مثلًا:

لقد عرضنا عليكم موضوع كذا.... وكذا....

وقلنا فيه كذا... ثم انتقلنا إلى كذا...

وخرجنا بالنتيجة الأخيرة.. وهي تشمل أربع نقاط (مثلًا).

أولاها.. وثانيها.. وثالثها.. ورابعها...

ثم يختتم شاكرًا للجميع حضورهم وإصغاءهم.

ما بعد الخطبة

ويقصد بها البحث عما إذا كانت الدعوة قد أفادت أو استفادت.

إن عامة شكوى المصلحين هي من فقدان الرابطة بين العلم والعمل به، أو فقدان الرابطة بين الذين اشتركوا في مفهومات متحدة.. إن الشعوب الإسلامية تملك آلاف المساجد تلقى بها آلاف المواعظ الأسبوعية الدورية على ملايين من البشر، كلهم متفق على ما يقال فيها، ولكن جدواها قليلة.. لماذا..؟ إما لقلة المتابعة أو لفقدان الرابطة، هذا العدد الهائل من المسلمين... كالذرات المبعثرة.. فقيرهم فقير لا يعرفه أحد، ومظلومهم مظلوم – قبل الخطبة وبعدها- لا يسعى لإنصافه أحد.

ظالمهم ظالم، قبل الخطبة وبعدها، فلا يرده عن ظلمه أحد، فهل هذه طبيعة المجتمع الإسلامي كما أرادها الله ورسله.. كلا. لقد كانت عملية الأمر بالمعروف على المستوى الفردي والاجتماعي تسد أكثر الثغرات فيمن كانوا قبلنا.. وتعالج معظم الانحرافات بشكل أكبر مما تفعله السلطة ذاتها.

كما كانت مهمة «النهي عن المنكر» تكمل الجزء الباقي فالأولى تمثل الوقاية والثانية تمثل العلاج.

OBEIKAN.COM

ومن أمثلة ما يعمل له الدعاة في هذه المناسبات:

١ـ السؤال عمن غابوا.. والاهتمام بهم وإبلاغ التحية إليهم.

٢ـ التعرف على النابهين.. فمن السهل إدراك مدى تأثر بعض الحاضرين وتجاوبهم مع الخطيب، فهؤلاء ينبغي الاتصال بهم والتعرف عليهم لكي تنشأ أخوة معهم فيما بعد.

٣ـ إسداء الجميل.. كمساعدة التلاميذ على ظروفهم الدراسية، ورعايتهم والتوسط لإنشاء علاقات زوجية بين أبناء الطبقة الواحدة، وتبادل الهدايا – والتوصية على مرؤوس عند رئيسه، وإيثار الصالحين بالمعاملة التجارية ونحو ذلك، دون تخط للحق وفي حدود الإمكان.

٤ـ تصفية الخلافات.. وتشكيل اللجان لفض المنازعات والتحكيم.. وهذا الأمر كبير الأهمية؛ لأنه يوفر كثيرًا من الوقت والمال ويحول المتخاصمين إلى متحابين..

٥ـ إنشاء المشروعات.. كثيرًا ما تتآخى مجموعة من أهل الحي ثم لا يجدون ما يشغلهم، فتذبل تلك الرابطة وينفرط عقدها مع الأيام.. لكن وجود مشروع حيوي، يجعل كل إنسان يجد مجاله ويكتشف مواهب نفسه أو يكتشفها غيره، فتبرز الطاقات النافعة وتدب الحياة في المجتمعات عن هذا الطريق، فإنشاء المدارس والجمعيات التعاونية والمساجد والمستوصفات، كل ذلك فضلًا عما يحققه من الخير في ذاته، فهو يربط الناس ويدربهم على فعل الخير، وقد يلد المشروع مشروعًا أفضل منه.

المحاضرة

المحاضرة هي معلومات مرتبة تعالج موضوعًا معينًا – ولها طابع علمي خاص – لا يحتاج للانفعال ولا للتحمس- وقد يلقيها كاتبها أو تلقى نيابة عنه – ويسمح بالمناقشة وبالإجابة على أسئلة المستمعين في نهايتها.. وقد يستعين المحاضر فيها بالرسوم أو أجهزة العرض الفنية والبحوث الأصيلة الجيدة، وهي تخدم الدعوة كثيرًا – إما بإيضاح ما خفي أو بالدفاع عن الحق المضيع- وإما بإزالة الأوهام التي كثيرا ما تحتل منزلة الصحيح.

ويراعى فيها على وجه الإجمال ما يراعى في الخطب التأثيرية – وقد فصلنا هناك ما يغني عن الإعادة هنا.

وإنما تتميز المحاضرة – علاوة على ما تقدم بما يأتي:

* الاطمئنان إلى المراجع، فإن المقام هنا مقام البحث والتمحيص، وجمهور المحاضرة أكثر استنارة من عامة الناس.

* القصد في الإنشاء، وفي المحسنات اللفظية والعبارات الرنانة – فهذا مما يعيب المحاضرة ولا يزينها.

* حصر نقاط البحث، بإيضاح أكثر مع التدوين والتحضير – إذ لا مجال للارتجال- والحرص على العناية باللفظ والعبارة التي تؤدي المعنى بدقة ووضوح.

* تصحيح النصوص، كالقرآن الكريم والحديث الشريف وما ينسبه للآخرين من أقوال.

* ربطها بهدف، إذ لا مصلحة للدعاة في الانشغال بموضوعات تعتبر من ترف الحياة وتسلية الفارغين من الناس.. فإما دفاع عن حق، أو إحياء لتراث، أو توجه لخير معلوم.

* سعة الصدر، وعلى المحاضر أن يكون حليمًا مستعدًّا للمعارضة والمناقشة واثقًا بنفسه.

الحوار والمناقشة

وهو إما أن يكون عفويًّا أو مرتبًا.

فالعفوي، هو الذي يقع مصادفة دون إعداد سابق.

والمرتب، هو ما يكون في الندوات وفي أعقاب المحاضرة، حين يطلب تمحيص موضوع معين بإشراف عدد من المفكرين.

OBEIKAN.COM

وفي كلتا الحالتين نوصي الدعاة بجملة من النصائح – منها:

١ـ **التهيؤ للموقف:** واستحضار ما يحسن قوله، فلا يليق بالداعية أن يندفع للكلام كلما وجد فراغا.. ولا ريب أن ترك الجدل أفضل من الدخول فيه[1]، ثم إنك تمثل دعوة غالية وليس شأنك كشأن من سواك من المتكلمين.

٢ـ **القصد في الإجابة:** ذلك لأنك واحد من جماعة عاملة في حقل الدعوة الإسلامية لكل منهم قول، وتمشيًّا مع سياسة الاقتصاد في الجهد، وحرصًا على تجنب الانفعال والتعرض لمواطن الزلل- فلتكن إجابتك على قدر السؤال دون زيادة أو نقص، فالقصد في الإجابة يمكنك من دقة الحكم على الأشياء، ويوحي باحترام مكانك لدى السامعين.

هذا ولا يجوز أن تخوض فيما ليس من تخصصك، فإن كان ولابد – فليكن القول منسوبا إلى مصدره المختص، مع الإشارة إلى عدم إحاطتك بالتفصيل في هذا الشأن مثلًا. ومن العلم أن تقول: «لا أعلم».

٣ـ **اللباقة والحذر:** وإياك والاستسلام للعاطفة فتتحول إلى خطيب في موقف المناظرة والمناقشة، ولابد أن تعرف حدود الصراحة - فبعض الصراحة لا يستحسن في المناقشة المفتوحة- ولا تقاطع متحدثًا حتى يفرغ من كلامه.

وعليك بالانتباه والاستماع، لتستوعب وتستفيد، فنحن عندما نتكلم لا نضيف إلى معلوماتنا جديدا، وإنما نكسب الجديد بالانتباه.

واحذر أن يستدرجك أحدهم إلى ما يفقدك السيطرة على علمك أو عاطفتك أو أمانتك، فالمحاورة ليست إلا معركة، يتطلع كل طرف فيها إلى الظفر بالنصر... وتذكر ألا ينتهي بك الموقف معلنا بالخصومة لأحد (إلا أن يكون عدوًّا لله ورسوله).

٤ـ **التأدب والمجاملة:** ولا يفوتك في مثل هذا الموقف أن تضرب المثل في حسن الخلق ورقة الحاشية، كأن تخاطب كل واحد بأحب الأسماء إليه.. وكأن يكون كلامك على مستوى

---

(١) لقوله ﷺ: «المراء لا يأتي بخير».

الحاضرين، سواء أكانوا من العامة أو من المثقفين، وكأن تشعرهم بالتقدير والاعتزاز بالتعرف إليهم.

واعلم أن كثيرًا من الخلافات تحلها روح المحبة، وأن كثيرًا من الخصومات لا تقوم لأجل الغيرة على الحق ولكن لأجل الدفاع عن الذات.

٥ـ **التوصل للنتيجة:** وليكن حرصك على الثمرة بالدرجة الأولى فإن رأيت البحث يتجه إليها فهذا هو المطلوب، وإلا فعليك حينئذ أن تنقل المحاورة بلباقة بحيث تتجه إلى الخلاصة والنتيجة، فلا ينبغي أن تضيع الأوقات في مناقشات لا جدوى منها.

وإن الأذكياء هم الذين يقطفون ثمرات الاجتماعات ويضعون حدًّا للجدل العقيم، كنا في أحد المؤتمرات بدمشق.. واحتدم النقاش حول صياغة القرارات حتى طال الوقت.. فقام أحد الأعضاء وتناول ورقة كتب فيها مشروع القرارات من تلقاء نفسه، وعلى ضوء ما فهم من نتائج البحوث، ثم طلب الرأي عليها، وسرعان ما نوقشت العبارات ثم أدخلت عليها تعديلات طفيفة وتمت الموافقة عليها، ولولا ذلك لما أدركنا العِشاء ولا العَشاء.

نماذج من المناقشات

فيما يلي نماذج من المناقشات التي يتعرض لمثلها الدعاة.

زار أحد المستشرقين الأجانب جمعية إسلامية – والدعاة يعلمون أن لهؤلاء الناس أنواعا من النشاط والعلاقات الغامضة – والتقى به في الجمعية شاب جامعي فرحب به ودار الحوار الآتي:

ـ إنكم تقومون في جمعيتكم هذه بمجهود كبير.

ـ شكرا لحسن ظنكم.

ـ لكن يبدو أن مواردكم محدودة.

ـ ماذا نصنع؟ إننا نعمل في حدودها.

ـ أليس من الأنفع أن تبحثوا في مواردكم ليزيد نشاطكم؟

ـ يمكن أن نضاعف نشاطنا بغير مضاعفة المال.

ـ إذن أنتم صوفيون..

ـ نحن مسلمون فقط – وقد تعلمنا أن نحتاج إلى أقل مما نملك، فنحن أغنياء دائمًا.. أما حضارة الغرب فقد جعلت الناس يحتاجون لأكثر مما يملكون فيشعرون بالفقر دائمًا.

* دار الحديث الآتي بين أحد عمد البلاد (المختار) وبين أحد الدعاة:

ـ إن عملكم هذا طيب، ولكن يجب عليكم ألا تضموا لصفوفكم إلا الخلاصات الممتازة من الناس.

ـ مثل من؟

ـ مثل أعيان البلد والوجهاء وهم كثير.

ـ أولًا: ليس كل وجيه ولا كل عين من الخلاصة الممتازة، بدليل أنك كثيرًا ما تشكو من أعمالهم.

وثانيًا: لقد ذهبنا إليهم ودعوناهم فلم يقبلوا

قال العمدة: إذن اطردوا عنكم هؤلاء الصغار الذين ينزلون بكرامتكم إلى الحضيض.

فابتسم الداعية وقال: «جمعيتنا كالمصنع، بها قسم «الورشة» للتصليح والعلاج. وبها «الفترينة» للعرض والتصدير – وهؤلاء الضعفاء هم مادة المصنع – إن منعناهم فقد المصنع وظيفته».

* قيل لأحد الدعاة: لن تنجح دعوتكم إلا إذا وجهتم كل الاهتمام لإنشاء المستشفيات لعلاج هذا الشعب المريض.

أجاب الداعية: ترى لو صحت أجسام الأمة تنحل مشاكلها الأخرى؟

قال: لا... ولكن عليكم بنشر العلم أيضًا.

OBEIKAN.COM

قال الداعية: وإذا تعلم كل الناس وصاروا مثل أهل سويسرا هل تنحل مشاكلهم؟

قال: طبعًا ينحل منها الكثير، ولا بأس أن تعملوا لجانًا للإحسان والزكاة

قال الداعية: وتظن أنه لو اكتمل للناس التعليم والغنى وكانوا أصحاء يكفي ذلك للتخلص من سيطرة الأجانب؟

قال: أعتقد ذلك.

قال الداعية: لا يا أخي.. ولكنه طريق واحد للنهوض بكل شعب متخلف مضطرب الأوضاع، ذلك هو طريق الأنبياء والمرسلين – ويتلخص في ثلاثة أشياء:

(أ) نشر دعوة الله وتعاليم دينه كاملة صحيحة

(ب) استخلاص المؤمنين بها وتربيتهم عليها.

(جـ) ثم التعاون معهم لتحقيقها وهي تكفل النصر والعزة والسعادة.

* اختصم شابان – أحدهما من أتباع الأحزاب- فقال أحدهم وهو يتهم الآخر: إن رئيس جمعيتكم قبض من «جهة كذا» عشرة آلاف دولار.

فأجابه على الفور: لا مانع، ما دام رئيس حزبكم قبض من «جهة كذا» عشرين ألف جنيه إسترليني.

قال الأول: هذا كذب وافتراء.. أتستطيع الإثبات؟

قال الثاني: وقولك هو عين الافتراء... أتستطيع أنت الإثبات؟

وبهذا انتهى النقاش[1].

---

(١) ملحوظة: لاشك أن هذا الحوار ليس هو الأمثل، ولكن المستويات تختلف – ولا ينبغي للدعاة أن يظلوا من دون الناس يتلقون الهجوم، وتسدد إليهم السهام وهم مشغولون بالدفاع والسلبية، ولكن الهجوم أحيانا يكون خير وسائل الدفاع.

OBEIKAN.COM

* قال أحد الوجهاء – في معرض السخرية من جماعة إسلامية: لا ندري هل أنتم وعاظ أم رياضيون أم سياسيون؟

فقال الداعية: وما العجب في ذلك؟ أنت نفسك مزارع ومتدين وسياسي وتاجر.

ـ لا... ولكن يجب عليكم أن تسيروا على طريقة واحدة يعرفها الناس.

ـ نحن نسير على ما سار عليه النبي ﷺ، لقد كان مرشدًا وقائدًا سياسيًّا ومصلحًا اجتماعيًّا، ومن قبل كان تاجرًا وراعيًا.

ـ كلام حسن.. لكني غير مقتنع.

ـ لأنك متأثر بفكر دخيل ليس من أفكارنا.. هو أن المشغول بالدين يترك السياسة، والمشغول بالسياسة يترك الدين.. فإذا كانت السياسة هي الحياة العملية.. فلماذا تباح لكل الناس وتحرم على المتدينين وحدهم؟ يمكنك أن تقول إن على المسلم أن يترك الحزبية.. نعم. ولكن لا يجوز أن يقال: إن على المتدين أن يعتزل سياسة الأمة.

* زار داعية إحدى قريباته، فشكت إليه أن زوجها يجبرها على مخالطة أصدقائه وأن تكشف عن رأسها وذراعيها دائمًا..

ولما سأل الزوج عن ذلك أجاب قائلًا: أنا أريدها مثل الناس.

ـ مثل الناس أم مثل الصواب؟

ـ الذي يعمل مثل الناس يكون على الحق.

ـ ليس دائمًا.. أرأيت لو سرقت وقلت للقاضي: الناس يسرقون.. تراه يسامحك أم يعاقبك؟

فضحك الزوج وقال: لكن لماذا لم تقل لي: «قال الله.... قال الرسول...» كما يفعل المشايخ؟

OBEIKAN.COM

ـ في المرة القادمة إن شاء الله[1].

* في مكان عام توجه شاب إلى أحد الدعاة بالسؤال الآتي:

ـ أتسمح لي يا أستاذ؟ لماذا أرسلت لحيتك ولا زلت في ريعان الشباب؟

فرد عليه قائلا: ولماذا حلقتها أنت؟

ـ أنا حر.

ـ وأنا لست عبدًا.

ـ لكن إرسال اللحية غريب بالنسبة لك.

ـ كلا.... بل الغريب هو حلقها – أنا تركتها تنمو... ولكنك أنت الذي يجب أن يُسْأل عن سبب حلقها..

ـ ليس كل شعر الجسم يُحلَق .. ولا كل شعر يُترَك..

ـ مثل ماذا؟

ـ مثل شعر الرأس.. فهو يترك.. وغيره يحلق..

ـ حسنا .. أنا اخترت أن يكون وجهي مثل رأسي... (وهنا ضحك الحاضرون) وخجل الشاب وانصرف.

(١) قد يكون من الحكمة عدم إقحام الآيات الكريمة ابتداء حتى لا يكذب بها المعاندون أو الجاهلون.

OBEIKAN.COM